٢) الغائب ـ الحاضر

طرقنا بابك امس ٠

على غير العادة ، لم يطل وجهك بابتسامته النفاذة ليعانق الوافدين ٠ لا احد في البيت ٠ لمن نلجأ في لحظات الحيرة والتمزق وانسداد الآفاق ؟ ٠

عاودتنا الذكريات ٠

اراك ، لا ازال ، تجوس ازقة الرباط ممتطيا سرج دراجتك ٠ تحيي المـــارة احيانا ، واحيانا تترجل احتراما لشيخ او فرحا بلقاء مناضل ٠ كنت ســـلك كهرباء يهمش الاوصال المرتخية ، ويدفىء النفوس المقرورة ٠

صوتك ملأ رحاب الازقة والدواوير والاحياء والمعاهد ٠ نحسك منبجسا مـن اعماقنا ، تتلمس الطريق معنا ، متكئا علينا لمقاومة الاخطبوت ٠

كنت تكبر ونكبر معك ٠ مهما استطالت المسافة المجتازة تظل اصابعك منغرسة في راحاتنا ، ونطفاتك مصبوبة في ارحامنا ٠

نطرق بابك لتستقبلنا بعد انتهاء تجمع او محاضرة او سفرة طويلة ٠٠ واحيانا بعد محاولة فاشلة لاغتيالك ٠ لكنك كنت ، دائما ، تبعث الثقة ٠ تبدد الشكوك ٠ تهزم المخاوف ٠ مرحك لا يفارقك حتى وانت تتحدث عن اعدائك ، واعدائنا

تذكر ولا شك « مبارك القصادري » ، مناضل من دوار الدوم ٠ قابلته هـذا الاسبوع : عيناه ضحكتان ، عثنونه الاشيب يؤطر وجهه المستدير ، والطاقيـة تضفي عليه مسحة الحكيم المتجول ٠ استغربت لكون الزمن لم ينل منه ٠ عجزت عن تحديد سنه ٠ لم يتغير في نظري منذ عشرين سنة خلت يوم عرفته ٠ تضاعف استغرابي حين سمعته يتحدث عنك من دون ان يضيف مثل الاخـرين « رحمـه الله » ٠ كان يستشهد بأقوالك كأنه قابلك منذ حين ٠ تساءلت : ما الذي يجعـل انسانا مسحوقا فقيرا يواصل النضال بالحيوية والحماسة نفسهما ؟ ٠٠

لن اجاملك ، فشيء منك لا يزال في دماء رفيقنا مبارك ، وفي دماء الكثيرين من دوار الدوم وحي يعقوب المنصور ٠ المبادىء اولا ، ستقول ٠ نعم ٠ لكن هناك الرجال الذين يجسدون المبادىء ويوشجون العروق والاهداف ٠

تسألني عن التبدلات ؟ ٠

كثيرة هي منذ رحلت : في الاشياء والظروف اولا ، ثم في النفوس والمشاع والوعي بدءا من الاتساع العمراني (ان الفيلات تنبت كالفطر) ، الى ارتـــال الصغار الجياع والمراهقين العاطلين ٠ كنت تستبصر الصراع وهو مخاض ،